

روياً أمام ديبلوماسيين تجربة توقيفهما

كيروز: هددوني وضربوني وحاولوا فسخي

سماحة: أجبروني على توقيع افادة لم أدل بها

كتبت هالة حمصي النهار ٢٠٠١/١٢/٧

عندما تذكر "ذلك الصوت الصارخ من شدة التعذيب" في وزارة الدفاع، بدا كأن الزمن توقف به مجدداً. المسؤول القواني سلمان سماعة لم يتمكن من اخفاء تأثره. ارتجفت يدها، وارتبك صوته، وضاعت منه كلمات في صمت، واخفت عيناه دموعاً. فصاحب الصوت "كان ايلي (كيروز - مسؤول قواني). لقد تعرفت اليه عندما كان تحت التعذيب في الغرفة المجاورة (...). ، وبقي صوته في اذني (...).". ورمق سماعة كيروز قليلاً قبل ان يكمل فصول تجربة التوقيف والتحقيق في وزارة الدفاع "التي لا تليق بالبشر"، على ما قال. اما كيروز، فحافظ على رباطة جأشه، رغم تذكره معاناة التوقيف و"التعذيب" الذي تعرض له: "لقد عذبوني بفسخ رجلي، وضربي وصفعي (...).، واكرهت على توقيع افادة التحقيق". وكانت آخر رسالة "استخباراتية" تلقاها: "تضضب".

امس، جلس كيروز وسماعة امام ديبلوماسيين وصحافيين دعتهم "مؤسسة حقوق الانسان والحق الانساني - لبنان" للاستماع الى شهادتهما وتقريرها عن اوضاع حقوق الانسان في لبنان، في مؤتمر صحفي عقد في مقر المؤسسة في مبنى ستاركو، وحضره الديبلوماسيون اليكس غران ميزون (من السفارة الفرنسية)، والسيدة انيت فان كالستر (من السفارة البلجيكية)، وفادي حافظ (من السفارة الاميركية) والمسؤول عن المؤسسة الدكتور وائل خير وعدد من الناشطين فيها. وقال الرجلان اللذان اطلقا اخيراً الكثير رغم ما يشكل ذلك من تهديد لحريتهما، "لكننا مستعدون لمواجهة المخاطرة"، على قول كيروز.

استهل خير المؤتمر بتلاوة تقرير المؤسسة وموقفها من بعض القضايا، وكان اولها قانون اصول المحاكمات الجديد الذي "قصر عن ادراك التشريعات الحديثة حول حماية المتهم وضمان حقوقه، وبرزها ضرورة تمثيله بمحام من لحظة القبض عليه وحتى الاستماع اليه، والامساك عن التوسع باقرار نظام الكفالة، مما يؤكد المبدأ القانوني ان المتهم بريء حتى اثبات ذنبه (...).". واثار قضية توقيف الصحافي حبيب يونس، "وهي قضية بريء حيل بينه وبين واجب انساني خطير (حضور دفن والده)"، منبهاً الى سلايبات في القانون، منها "الصلاحيات الواسعة التي يمنحها لمركز المدعي العام التمييزي".

وتناول المسائل "غير القانونية" في قانون تملك الاجانب والتعامل مع طالبي اللجوء الى لبنان، و"التحامل" على حقوق المرأة. وعن اوضاع السجون، قال "انها تستدعي تحركاً واسعاً، ولا تبدو السلطة في عجلة من امرها (...). وقد يكون هناك حل كلي او جزئي للاكتظاظ الخانق فيها ولو عجلت الجهات القضائية بت ملفات مستأخرة لآلاف الموقوفين"، مشدداً على "ضرورة انتهاء مأساة المعتقلين في السجون الاسرائيلية والسورية، ولن يكون كافياً الافراج عنهم، بل لا بد من تعويضهم واعادة تأهيلهم، وهي حقوق لهم على السلطة".

كيروز سماعة

وخصص ما تبقى من وقت لشهادتي كيروز وسماعة. فتجربة التوقيف الاخير "كانت الاقصى" بالنسبة الى كيروز، "مع اني استدعيت اكثر من مرة الى مراكز عدة لمخابرات الجيش، منذ توقيف (قائد القوات اللبنانية) الدكتور سمير جعجع. وكانت دائماً الرسالة الموجهة الي واضحة: اهتم بعملك وعائلتك، والزم منزلك. لكن الامر اختلف في المرة الاخيرة، اذ اوقفت عند حاجز للمخابرات على طريق يسوع الملك، وكان يرافقتي

ولداي القاصران. ورغم ابرازي بطاقة انتسابي الى نقابة المحامين، لم تأخذ بها العناصر، ولم تكن في حوزتها استنابة او مذكرة قضائية. لقد طلبت ان يسمح لي بأن اوصل ولدي الى المنزل ثم اذهب معها اينما شاؤوا، لكنها رفضت. فاقتدت وولدي الى تكنة صربا، ومنها الى مديرية المخابرات حيث امضيت يومين، ثم اخذت الى سجن رومية حيث بقيت ثمانية ايام".

لم تكن ظروف توقيع كيروز سهلة اطلاقاً: "خلال اقامتي في المديرية، كنت معصوب العينين ومكبّل اليدين، تارة الى الامام وتارة الى الورااء طوال الوقت، وكنت مجبراً أيضاً على الجلوس على الارض او الوقوف. وأحياناً وقفت ساعات الى ان صرت ارتجف وتلاشت قواي. عندها، سمح لي بأن اجلس. تعرضت للاهانسة، والضرب. وفهمت تماماً انه في الذهنية السائدة هناك، ممنوع على المرء ان يشعر بانسانيته. فالانسان يجب ان يتحول حطاماً او حشرة، وبالتالي ممنوع عليه ان تكون لديه حقوق او ضمانات. لم اشعر اطلاقاً بأنني كنت في كنف الدولة اللبنانية، لأن جو التعاطي معي لم يكن جو دولة يجب ان تكون كالاب الصالح، وترعى كل اللبنانيين. شعرت بأنني كنت في جو من الحقد والكراهية، وانهم يتعاطون معي انطلاقاً من هذا الجو، وأني لست موجوداً بالنسبة اليهم كإنسان، ولا كمواطن، ولا حتى كمحام".

خلال التحقيق، لم يلاحظ كيروز "ان هناك موضوعاً معيناً يدور حوله التحقيق". ويروي: "لم اعرف التهمة الموجهة الي. ولم يقل لي احد ما وقائعها المادية والحسية. ولم احظ علماً بالادلة او الشبهات الجدية التي يمكن ان تجرمني. وقد اكرهوني على توقيع محضر، ولم يسمحوا بأن اقرأه وأطلع على مضمونه".

سؤالان ركز عليهما المحققون العسكريون مع كيروز، وكانوا ضباطاً لبنانيين فقط، على ما اكد، وهما: "ما اخبرك به توفيق الهندي عن اتصالاته بالاسرائيليين؟ ومن كان معك من المسؤولين القواتيين ويعرف بشأن هذا الحديث؟". وطوال ثمانية ايام، "طرح على كيروز السؤالان. وكانت النتيجة انهم اخذوا مني شيئاً، ولكن ليس كل ما ارادوا معرفته".

الى الضغط النفسي الذي مورس على كيروز، تعرّض ايضاً للتعذيب الجسدي: "كانت هناك اهانات. لقد ضربت وصفعت وأبقيت واقفاً مدة طويلة، وحاولوا ان يفسخوني، اي ان عناصر عسكرية عمدت الى الشد بأحدى رجلي في اتجاهه، فيما كانت اخرى تشد برجلي الثانية في الاتجاه المعاكس. وقد كان هناك تهديد وتهويل فرضتهما الاجواء، اذ هُددت بالاساءة الى زوجتي وأولادي وباتهامي بتهم اكبر. كل القصة معدة بحيث انه لدى وصول الشخص عند المحققين، يكون مشوش الذهن ومضطرباً ومطموس الشخصية وعاجزاً عن استخدام حواسه الطبيعية، ومحروماً الوعي بالمكان والزمان والمصير. كل هذا يسهّل كثيراً عملية التهويل بمسائل كثيرة قد لا تكون حقيقية، لكن الموقوف يتأثر بالتهديدات الموجهة اليه".

ماذا قصدت باكراهك على توقيع المحضر؟ اجاب: "جاء ذلك خاتمة للحالة الاكراهية التي كنت اعيشها، اي انه في النهاية، ادخلت الى المكتب حيث حررت يداي من الاصفاد ونزعت العصبة عن عيني وطلب مني التوقيع. لكنني اصررت على قراءة المحضر او توقيعه بتحفظ. فرفضوا وأمروني بالتوقيع، ففعلت". وكان رفض التوقيع مسألة غير ممكنة. "هناك آخرون حاولوا الا يوقعوا. الا انهم اذعنوا في النهاية".

بعد اطلاقه، لم يتلق كيروز اي تهديدات، "ولكن في مديرية المخابرات، استعملوا كلمة "تضبيب". وهل يعتبر المؤتمر الصحافي تهديداً لحياته وسماحة؟ اجاب: "بالطبع، لكننا مستعدون للمخاطرة".

بالنسبة الى سماحة، "الاماكن التي وجدنا فيها خلال توقيفنا تصلح لتكون زرائب للحيوانات، وكان الضغط النفسي والمعنوي علينا كبيراً، بحيث كانت عيوننا معصوبة وأيدينا مكبلت كل الوقت. وعندما اوقفنا في ٧ آب، اخذنا الى مستودع في مبنى قرب وزارة الدفاع قسم زنانات صغيرة، وترتفع فيه درجة الرطوبة كثيراً،

بحيث عجز الموقوفون فيه عن التنفس بسهولة وحصلت حالات اغماء بينهم. وكنا نخاطب الحارس من طاقة خارجية اذ كان عاجزاً عن البقاء في الداخل بسبب الرطوبة القوية". في ذلك المستودع، بقي سماحة يومين، ثم نقل الى مكان آخر "هو مستودع آخر قرب الوزارة". وبعد يومين، احضر الى الوزارة للتحقيق وبقي هناك اربعة أيام: "كانت هذه مرحلة التحقيق الاولى" على ما أوضح، مشيراً الى انه "في تلك المرحلة، لم تكن هناك اسئلة او نية لسؤالي، لان انشطتنا (اي طلاب "القوات" علنية، ويملك المحققون العسكريون ادق التفاصيل عنا. وكان التوقيف محاولة لا يصال رسائل الينا. وخلال التحقيقات، لم أشهد تعرض احدهم للضرب ولم أسمع بالامر".

وكانت محطة سماحة التالية، مقر الشرطة العسكرية (قصر نورا) في حرج ثابت وقال: "كانت الزنزانات هناك زرائب ايضا (...). لا تليق بالبشر" ثم نقل الى سجن رومية، وسرعان ما غادره الى الوزارة مجدداً بتهمة التعامل مع اسرائيل. وهنا بدأت المرحلة الثانية من التحقيق، "وكان الضغط اقسى من المرحلة الاولى، وتم التركيز على السؤاليين اللذين اشار اليهما كيروز من دون ان يحددوا اي تواريخ، اي انه يمكن ان يتكلم المرء عن اي لقاء مع الهندي، في اي يوم". وازداد "ضغط" التحقيق "اذ يبدو انه كانت ثمة حاجة الى انهاء الملف. وكان السبت". في ذلك اليوم، حصل أمر لا يزال يؤلم سماحة: "وضعت قرب مكتب معين حيث فتح الباب وسمعت صوتاً خفيفاً لانسان يصرخ من شدة وجعه، وتعرفت الى صوت ايلي (كيروز). لم أكن في حاجة الى التكهن. عندها اخضعت للتحقيق، انطلاقاً من فكرة انه يمكن ان أغير اقوالي بعدما عرفت بأمر تعذيب ايلي. حققوا معه ومعني على وتيرات مقاربة، على أمل ان يؤدي هذا الضغط الى توقيع الافادة". سماحة لم يتعرض للتعذيب على ما أكد، لكنه تمكن من الاطلاع على الافادة. يقول: "عند قاضي التحقيق اسندت الي في المرة الاولى اقوال لم أدل بها. وفي المرة الثانية، أصررت على مواجهتهم بأنهم أجبروني على توقيع افادة بأقوال لم أدل بها. فاعتذروا عن الامر. وأصررت ايضا على قراءة المحضر، لكنني لم أتمكن من قراءة اكثر من سطرين بسبب حالتي النفسية السيئة. لم أكن في حال نفسية تسمح لي بأن ارفض التوقيع. كان لا يزال صوت ايلي في أذني".

*ما موقفك من القرار الاتهامي الذي صدر في حق الهندي وانطوان باسيل ويطولك وكيروز؟
سيظهر موقفنا خلال المحاكمة. وسنستعمل كل الوسائل المتاحة لابطال التهمة الموجهة الينا. ففي القانون الجديد، نحن ابرياء الى ان تثبت التهمة علينا.

وأثار معاناة السجناء وخصوصاً في سجن رومية، "حيث هناك ضرورة لتحسين ظروفهم المأسوية". واذ شكر كل الجمعيات الاهلية التي تتابع اوضاع السجن، توقف عند "الاهمال المستشري هناك، وتعاطي بعضهم المخدرات، ومعاناة اللاجئين الاجانب، ومأساة الشباب المتهمين بالتعامل مع اسرائيل ومواجهتهم تهماً جديدة مشابهة لتلك التي صدرت بها أحكام.